اما المحدثون فيرتأون انها في التجويف الجبهي الذي يُدعى (lobes frontaux) وفي بعض مراكز السلسلة الفقارية فيذهبون الى انّ كلاً من هذه المواضع محطُّ رحال لطوائف معاومة من صُور الماضي دون غيرها وهكذا يعلّلون اضمحلال الذاكرة الجزئي كما سبقت اليهِ الاشارة ثم ظاهرة فقد النطق

وفي الختام فلقد اعطر شكر للمولى الكريم لانعامهِ علينا بهاتهِ القوّة التي هي اصلح مُعين للعقل البشري فكما ان لا تعقُّل الّا مسبوقًا بفعل المخيلة كذلك لا نتيجة في التفقُّه دون عضد الذاكرة. نعم لولاها لكان سماء بصيرتنا مدلهمًا حالكًا تتقطعهُ حينًا بوارق بروق الافكار ثم يعود الى سابق ظلامه او كانت ارضها قفرًا مجدبًا لا تثمر يانعًا ولا تورق ناضرًا وذلك لتعذُّر استعمال ابدع مزايا فهمنا من تعميم. واحتجاج واقامة دليل او قياس بلا ذاكرة وهب اننا عدمنا هذه الجوهرة النفيسة كانت كل افكارنا وما نحدّها بهِ من اللغى (العبارات) يسقط من عقلنا حال اشراقها في عالم الكوائن وكان يستحيل لمَ شعثها لقضاء اربٍ من نتيجة برهانٍ او ابداء حكمٍ (proposition) فضلًا عن وجود ذريعة لقوام علمٍ من العلوم او لتذكية قوانا النفسانيّة او للمواصلات الالفية او لنوعٍ من اليقين. فحمدًا لمن وجب ذكر آلائهِ مدى الاعوام ومجدًا لمن تحتم تكرار اسمائهِ على الدوام

رسالة الطير

للشيخ الامام محمد بن محمد الغزالي

تولّى نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

في العدد السابق نشرنا رسالةً أولى موسومة برسالة الطير للشيخ الرئيس ابن سينا. ووعدنا بنشر رسالة أخرى بهذا الاسم صنّفها حجّة الاسلام الشيخ الامام محمّد بن محمد الشهير بالغزالي فقياماً بهذا الوعد نزيّن بها هذا العدد من مجلتنا

وهذه الرسالة وردت في المجموعة التي وصفناها سابقًا ولا نعلم لها نسخة ثانية وقد وقع فيها بعض أغلاط أصلحناها ودللنا عليها في الذيل بحرف (ص) وهذه الرسالة رمز لطيف الى احوال

المرء وترقّيه الى الله وقد اراد بالطير جماعة البشر الذين يسعون في امور الروح ويطلبون الله وكنى بالعنقاء عنهُ تعالى ملك الملوك ورب الارباب. امّا الهمن التي يلقاها الطير في سيره الى العنقاء فهي رمز الى بلايا هذه الحياة وشدائدها التي تؤهل المرء اذا صبر عليها وتجلّد لها لان يحظى بمشاهدة الحضرة الالهيّة والدخول في الجنان السرمدية

(٦٣٧) بسم الله الرحمن الرحيم

اجتمعت اصناف الطيور على اختلاف انواعها وتباين طباعها وزعمتْ ان لا بُدَّ لها من ملك. واتفقوا انهُ لا يصلح لهذا الشأن الّا العنقاء (١ وقد وجدوا الخبر عن استيطانها في مواطن الغرب وتقرُّرها في بعض الجزائر فجمعتهم داعية الشوق وهمّة (٢ الطلب فصمّم العزم على النهوض اليها والاستذراء (٣ بظلّها والمثول بفنائها والاستمداد بخدمتها فتناشدوا وقالوا:

قوموا الى الدار من ليلى نحيّيها نعم ونسألها عن بعض اهليها

واذا الاشواق الكامنة قد برزت من كمين القلوب وزعمت بلسان الطلب

باي نواحي الارض ابغي وصالكم وانتم ملوكٌ ما لمقصدكم نحوُ

واذا هم بمنادي الغيب ينادي من وراء الحجب: ولا تُلقوا بايديكم الى التهلكة لازموا اماكنكم ولا تفارقوا مساكنكم فانكم ان فارقتم اوطانكم ضاعتم اشجانكم فدونكم والتعرُّض للبلاء والتحلّل (٤ بالفناء.

ان السلامة من سعدى وجاوتها ان لا تحلَّ على حال بواديها

فلمّا سمعوا نداء التعذّر من جناب الجبروت ما ازدادوا الّا شوقًا وقلقًا وتحيُّرًا وأرقًا وقالوا من عند آخرهم (٥ :

ولو داواك كلُّ طبيب أُنسٍ بعين كلام ليلى ما شفاكا

---

١) راجع ما كتب عن العنقاء حضرة الكاتب المتفنن الاب انستاس الكرملي في المشرق (١ : ١٦٦ و ٣٧٦) ٢) في الاصل (ص): وهمّت ٣) ص: والاستدراء

٤) اي التنزل. ولعلّها التخلّل ٥) كذا في الاصل. ولعلّ الصواب من عن آخرهم

وزعموا

انَّ المحبَّ الذي لا شيء يقنعهُ او تستقرَّ ومن يهوى بهِ الدارُ

ثم نادى لهم الحنين ودبَّ فيهم الجنون فلم يتلعثموا في الطلب اهتزازًا منهم الى بلوغ الارب. فقيل لهم: بين ايديكم المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة واماكن القرّ ومساكن الحرّ فيوشك ان تعجزوا دون بلوغ الامنيَّة فتخترمكم المنيَّة فالاحرى بكم مساكنة اوكار الاوطار قبل ان يستدرجكم الطمع واذا هم لا يصغون الى ذلك القول ولا يبالون بل رحلوا وهم يقولون:

فريدٌ عن الخلاَّن في كلِّ بلدةٍ اذا عظُمَ المطلوب قلَّ المساعدُ

فامتطى كلٌّ منهم مطيَّة الهمَّة قد ألجمها بلجام الشوق وقرَّبها بقوام العشق وهو يقول:

انظرْ الى ناقتي في ساحة الوادي شديدةِ ألسرى(١ من تحت مَيَّادِ

(64ª) اذا اشتكت من كلال البين اوعدها روح القدوم فتحيا عند ميعادي

لها بوجهك نورٌ تستضيء بهِ وفي نوالك من اعقابها جادي

فرحلوا في محجَّة الاختيار فاستدرجتهم بحدّ الاضطرار فهلك من كان من بلاد الحرّ في بلاد البرد ومات من كان من بلاد البرد في بلاد الحرّ وتصرَّفت فيهم الصواعق وتحكَّمت عليهم العواصف حتى خلصت منهم شرذمة قليلة الى جزيرة الملك ونزلوا بفنائهِ واستذروا (٢ بجنابهِ والتمسوا من يخبر عنهم الملك وهو في امنع حصن من حمى عزّهِ. فأُخبر بهم فتقدَّم الى بعض سكَّان الحضرة (٣ ان يسألهم ما الذي حملهم على الحضور. فقالوا: حضرنا ليكون مَلِكنا. فقيل لهم: أتعبتم انفسكم فنحن الملك شئتم او ابيتم جئتم او ذهبتم لا حاجة بنا اليكم

فلمَّا احسُّوا بالاستغناء والتعذُّر أيسوا وخجلوا وخابت ظنونهم فتعطَّلوا. فلما شملتهم الحيرة وبهرتهم العزَّة قالوا: لا سبيل الى الرجوع فقد تحاذلت القوى وأضعفنا الجوى

---

١) قطع همزة أل التعريف في السرى لاستقامة الوزن

٢) ص: واستدروا

٣) يريد بسكان الحضرة اهل الملكوت الذين يحفُّون بنظرهِ تعالى

فليتنا تُركنا في هذه الجزيرة لتماوت من عند آخرنا (١ وانشأوا (٢ يقولون هذه الابيات

أسكّان رامة هل من قِرى فقد دفع الليل ضيفًا قنوعا
كفاهُ من الزاد ان تمهدوا لهُ نظرًا وكلامًا وشيعا (٣

هذا وقد شملهم الداء وأشرفوا على الفناء والجُوا (٤ الى الدعاء.

تُمل (٥ نشاوى بكأس الغرام فكلٌّ غدا لأخيهِ رضيعا

فلما عمهم اليأس وتضايقت بهم الانفاس تداركهم انفاس الايناس وقيل لهم: هيهات فلا سبيل الى اليأس فلا ييأس من رَوح الله الّا القوم الخاسرون(٦ . فان كان كمال الغنى يُوجب التعزز والردّ فجمال الكرم اوجب السماحة والقبول فبعد ان عرفتم مقداركم في العجز عن معرفة قَدرنا فحقيق بنا ايواؤكم فهو دار الكرم ومنزل النعم فانهُ يطاب المساكين الذين رحلوا عن مساكنة الحسبان ولولاهُ لما قال سيد الكلّ . وسابقهم احيا مسكينًا (64ب) ومن استشعر عدم استحقاقهِ فحقيق بالملك العنقاء ان يتخذهُ قرينًا

فلما استأنسوا بعد ان استيأسوا وانتعشوا بعد ان تعسوا ووثقوا بفيض الكرم واطمأنّوا الى دوور النعم سألوا عن رفقائهم فقالوا: ما الخبر عن أقوام قطعت بهم المهامه والاودية أمطلولٌ دماؤهم ام لهم دية . فقيل هيهات هيهات « ومن يخرج من بيتهِ مهاجرًا الى الله ورسولهِ ثمّ يدركهُ الموت فقد وقع اجرهُ على الله » (٧ . اجتبتهم أيادي الاجتباء بعد ان ابادتهم سطوة الابتلاء ولا تقولوا لمن يُقتل في سبيل الله أموات بل أحياء . قالوا: فالذين غرقوا في لجج البحار ولم يصلوا لا الى الدار ولا الى الديّار بل التقمتهم لهوات التيّار قيل: هيهات « ولا تحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتًا بل احياء » (٨ . فالذي جاء بكم واماتهم أحياهم والذي وكّل بكم داعية الشوق حتى استقللتم العناء والهلاك في اوبحيّة الطلب دعاهم وحملهم وادناهم وقرّبهم فهم في حجب العزّة واستار القدرة « في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر » (٩ . قالوا : فهل لنا الى مشاهدتهم سبيل . قيل:

---

١) كذا في الاصل . ولعلهُ أراد من من آخرنا
٢) ص: وانسوا
٣) كذا
٤) ص: لجُّوا
٥) ص: حمل
٦) ص: الخاسرون
٧) من سورة النساء
٨) من سورة آل عمران
٩) من سورة الرحمن

لا . فانكم في حجاب العزّة واستار البشريّة واسر الاجل وقيده فاذا قضيتم اوطاركم وفارقتم اركاركم فعند ذلك تزاورتم وتلاقيتم (١ . قالوا : والذين قعد بهم اللوم والعجز فلم يخرجوا . قيل : هيهات ولو أرادوا الخروج لأعدّوا لهُ عدّة ولكن كَرِهَ الله انبعاثهم فثبّطهم لو اردناهم لدعوناهم لكن كرهناهم فطردناهم . انتم بانفسكم جئتم ام نحن دعوناكم ؟ انتم اشتقتم ام نحن شوّقناكم ؟ نحن اقلقناكم فحملناكم وحملناهم في البرّ والبحر . فلمّا سمعوا ذلك واستبصروا بكمال العناية وضمان الكفاية كمل اهتزازهم وتمّ وثوقهم فاطمأنوا وسكنوا واستقبلوا حقائق اليقين بدقائق التسكين وفارقوا بدوام الطمأنينة أمكان التلوين ولتعلمنّ نبأهُ بعد حين

(فصل) أترى هل كان بين الراجع الى تلك (٦٩) الجزيرة وبين المبتدئ من فرق . انّما قال جئنا ملكنا من كان مبتدئاً إمّا من كان راجعاً الى عيشهِ الاصلي . يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي فرجع اسماع النداء كيف يقال لهُ : « لِمَ جئتَ » . فيقول : « لم دُعيت » لا بل فيقول لم حملت الى تلك البلاد وهي بلاد الغربة . والجواب على قدر السؤال والسؤال على قدر التفقّه والهموم بقدر الهمم

(فصل) من يراع لمثل هذه النكت فليجدّد العهد بطور الطيريّة واريحيّة الروحانيّة فكلام الطيور لا يفهمهُ الّا مَن هو من الطيور وتجديد العهد بملازمة الوضوء ومراقبة اوقات الصلاة وخلوة ساعةٍ للذكر فهو تجديد العهد الحلو في غفلة لا بُدّ من احد الطريقين فاذكروني اذكركم أرَ نسوا الله فنسيهم فمن سلك سبيل الذكر انا جليس من ذكرني ومن سلك سبيل النسيان ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض لهُ شيطاناً فهو لهُ قرين وابن آدم في كلّ نفَس مصطحب احد هذين النسبتين ولا بُدّ يتلوهُ يوم القيامة احد السيائين . أما يُعرف المجرمون بسياهم او بسياهم في وجوههم من اثر السجود انقذك الله بالتوفيق وهداك الى التحقيق وطوبى لك الطريق انهُ بذلك حقيق . والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على محمد وآلهِ اجمعين

مُلحق

هذه رسالة الطير التي اوردناها عن الامام الغزّالي قد اخذها عنهُ كثيرون من جملتهم عزّ الدين عبد السلام بن غانم المقدسي المتوفّى سنة ٦٧٨ هـ (١٢٨٠ م) وقد ختم بها كتاباً لطيفاً سمّاهُ كتاب

١) ص : تلافيتم

كشف الاسرار عن حكم الطيور والازهار في خزانة مكتبتنا منهُ نسختان خطيتان . فالاشارة الاخيرة من هذا الكتاب تدعى اشارة العنقاء وما هي الّا رسالة الطير السابق ذكرها نوردها هنا تتمّة للافادة وليتمكّن القراء من المقابلة بينهما

اشارة عنقاء مغرب

اجتمعت الطيور يوماً وقالوا لا بدَّ لنا من ملك نعترف لهُ ونُعرف بهِ فهلمُّوا نتطلق في طلبهِ ونستمسك بسببهِ ونعش في ظلّهِ ونعتصم بحبلهِ وقد بلغنا ان في بعض جزائر البحر ملكاً يقال لهُ عنقاء مغرب قد نفذت احكامهُ في المشرق والمغرب فهموا بنا اليهِ متوكلين عليهِ فقيل لهم: ان البحر عميق والطريق مضيق والسبيل سحيق واعلموا انهُ بين ايديكم جبال شاهقة وبحار مغرقة وثيران محرقة فلا سبيل لكم بالاتصال ولو قُطعت منكم الاوصال فدون وصالهِ حد النصال. فاقرنَّ في اوكاركنَّ واعترفنَّ بعد انكاركنَّ فان العجز من شأنكنَّ والملك غنيٌّ عنكنَّ والله غني عن العالمين اما سمعتم صائح القدر يقول: ويحذركم الله نفسهُ فقالوا صدقت ولكن مناديه ينادي ففرُّوا الى الله جميعاً فعندها طاروا باجنحة يتفكرون بخلق السماوات والارض صابرون على ظلمِ الهواجر باشارة قولهِ تعالى: ومن يخرج من بيتهِ مهاجرًا الى الله فسلكنَّ سبيلًا عدلًا ان اخذنَّ ذات اليمين ارمتهنَّ الرجاء. وان اخذنَّ ذات الشمال احرقتهنَّ حرارة الخوف. فهم بين سباق ولحاق واغتراق وتلاشٍ وافتراقٍ وتناشٍ واستغراق حتى وصل منهم من وصل الى ان اتوا جزيرة الملك بعد ان سقط ريشهُ وتكدَّر عيشهُ وتضاعف نحولهُ وتزايد ذبولهُ ووصلوا اليهِ خماصاً بعدما كنَّ بطاناً وجنتهُ فرادى بعدما فارقنَّ اوطاناً. قال فلمَّا نظروا الى جزيرة الملك فاذا فيها ما تشتهي الانفس وتلذُّ الاعين فمن كانت همتهُ في المأكول والمشروب قيل لهم كلوا واشربوا هنيئاً بما اسلفتم في الايام الخالية ومن كانت همتهُ في الملابس والنفائس قيل لهم يلبسون من سندس واستبرق متقابلين ومن كانت همتهُ في العرائس قيل لهم وزوجناهم بحور عين واما اهل الانفة فقالوا سبحان الله اذا كان ثم الاشتغال بمأكول ومشروب فمتى يتفرغ المحب للمحبوب. ومتى ينالُ الطلب من شرف المطلوب فالدون كل الدون من رضيَ بصفقة المغبون نحن ما نريد الّا الملك الذي قد قطعنا لاجلهِ المراحل والرواحل وقطعنا اليهِ كل حاجز وصابرنا على ظلماء الهواجر حيث قال تعالى ومن يخرج من بيتهِ فهاجر الى الله فنحن نشتغل بالملابس والمفاخر ولم يكن قصدنا الّا النظر الى وجه

الملك فلمَّا مثلوا بين يديه قال لهم ويحكم لِمَ جئتم وبايِّ شيء اتيتم فاني لغنيٌّ عنكم قالوا انت الغنيّ ونحن الفقراء وانت القويّ ونحن الضعفاء فلا قوة لنا نرجع بها الى قوانا واضمحل وجودنا مما قد اعترانا. فقال لهم الملك ان صح افتقاركم فعليَّ جبادكم انطلقوا فداووا العليل في ظل ظليل وقبلوا غير مستقيل واحسن مقيل فمن غلب عليه برودة الرجاء فليشرب من كأس كان مزاجها زنجبيلًا ومن استولت عليه مرارة الشوق فورًا فليتناول بكاس كان مزاجها كافورًا. ثم قولوا للعاشق سل سبيل فاذا صحَّت الحمية قدموا العليل الى طبيبه والمحب الى حبيبه ولثَّاهم نظرةً وسرورًا ورقاهم ونقاهم وسقاهم شرابًا طهورًا فسكروا حين شربوا فطربوا ثم استزيدوا فزيدوا ثم استجيبوا فطاروا باجنحة الانس فاذا هم في حضرة القدس فسقطوا ليلتقطوا حبة الحبة في مقعد صدق عند مليك مقتدر فحاصلوا حين وصلوا فاما حضروا فاذا الحجب قد رفعت والاكواب وقد وضعت والاحباب وقد جمعت فنالوا ما لا عين رأت ولا اذن سمعت فقيل عند ذلك في هذا المعنى شعر

يا قلبُ بشراكَ ايامُ الرضا رَجعتْ ... وعُذبَ الدَّارُ للاحبابِ قد جُمعتْ
أما ترى نَفَحات الحيِّ قد عبقتْ ... أنفاسُها وبُروقَ القُرْبِ قد لَمعتْ
فعِشْ هنيًّا بوصلٍ غير مُنفصلٍ ... مع مَنْ تُحبُّ وحُجبُ الهجرِ قد رُفعت
وانظُرْ جمالَ الَّذي من أجلِ رُؤيتِهِ ... قُلوبُ عُبَّادِهِ في حُبِّهِ انْصَدَعتْ

الصابئة او المندائية

بقلم الاب الفاضل والباحث المدقق انستاس الكرملي البغدادي

(تابع لما سبق)

متقداصم (تابع)

اما من جهة اعتقادهم بالمسيح ويوحنا المعمدان فاليك تعريب ما قرأتهُ في "الكنزا" لا كما يوردهُ عوامُّهم قال وقولهُ كلهُ كذب كما سترى: «فأُعيد عليكم الكلام